الفصل الخامس

نخبة من المشاهير في الجود والكرم في العصر العباسي

ويشتمل على المباحث الآتية :ـ

المبحث الأول ـ معن بن زائدة الشيباني

المبحث الثاني ـ أبو دلف العجلي

المبحث الثالث ـ عبد الله بن طاهر بن الحسين

المبحث الرابع ـ محمد بن حميد الطوسي

المبحث الخامس ـ عمارة بن حمزة

المبحث السادس ـ البرامكة

المبحث السابع ـ ما قيل في الجود

المبحث الثامن ـ تدريب النفس على السخاء

المبحث الأول

معن بن زائدة الشيباني[1]

نسبه: أبو الوليد معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان. كان جوادا شجاعا جزل العطاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا.

قال الأصمعي: وفد أعرابي على معن بن زائدة فمدحه وطال مقامه على بابه ولم يحصل على جائزة له. فعزم على الرحيل فخرج معن راكبا فقام إليه وأمسك بزمام دابته وقال:

وما في يديك يا معن كله ... وفي الناس عنك معروف ذاهب

ستدري بنات العم ما قد أتيته ... إذا فتشت عند الإياب الحقائب

فأمر معن بإحضار خمس نوق من كرام أبله وأوقرهم له ميرة وبرا وثيابا وقال: انصرف يا ابن أخي بحفظ الله إلى بنات عمك فلئن فتشن الحقائب ليجدن ما يسرهن. فقال له: صدقت وبيت الله. وكان معن في أيام بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبن يزيد بن عمر المذكور من محاصرته في واسط ما هو بمشهور وقد أبلى يومئذ معن مع يزيد بن عمر بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مدة وجر له استتاره غرائب.

طلب المنصور معن بن زائدة زمناً، ولم[2] يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقاتلة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة. وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكراً معتماً متلثماً وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٥ ص ٢٤٤ .

(٢) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص٢٥٥ بتصرف .

قتالاً أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم، فلما أفرج عن المنصور وقال له: من أنت ؟لله أبوك! قال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة. فأمنه المنصور وأكرمه وكساه وزينه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك فلما نظر إليه قال: هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله:

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال: كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة:

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

وقال له يوما أبو جعفر المنصور: ما أكثر وقوع الناس بقومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا

ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له: كبرت يا معن، فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، فقال: وإنك لجلد، فقال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، فقال: وفيك بقية، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين.

وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال: ويح هذا ما ترك لربه شيئاً.

وأشهر قصائد مروان بن أبي حفصة فيه وأحسنها القصيدة اللامية ونذكر منها:

قد أمن الله من خوف ومن عدم ... من كان معن له جاراً من الزمن

معن بن زائدة الموفي بذمته ... والمشتري المجد بالغالي من الثمن

يرى العطايا التي تبقى محامدها ... غنما إذا عدها المعطي من الغبن

بنى لشيبان مجدا لا زوال له ... حتى تزول ذرى الأركان من حضن[1].

(١) حضن: اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة.

وقال أبو عثمان المازني النحوي[1] حدثني صاحب شرطة معن قال: بينما أنا أسير على رأس معن إذا براكب هو يوضع فقال معن: ما أحسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبه: لا تحجبه. قال: فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد:

أصلحك الله قلّ ما بيدي ... فما أطيق العيال إذا كثروا

ألح دهر رمى بكلكله ... فأرسلوني إليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الأريحية: لا جرم والله لأعجلن أوبتك. ثم قال: يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها إليه. فدفعها إليه وهو لا يعرفه.

عقيد المجد والجود[2] :

كان لمعن بن زائدة شاعر يغشى مجلسه في كل يوم، فانقطع أياما: فلما دخل عليه قال: ما أبطأك؟ قال: ولد لي مولود، قال فما سميته ؟ قال:

سميت معنا بمعن، ثم قلت له:

هذا سمي عقيد المجد والجود

قال: يا غلام، أعطه ألف دينار ثم قل بيتاً آخر، فقال:

سما بجودك جود الناس كلهم ... فصار جودك محراب الأجاويد

قال: أعطه ألف دينار وقل بيتاً آخر، فقال:

أنت الجواد ومنك الجود أوله ... فإن فقدت فما جود بموجود

قال: يا غلام، أعطه ألف دينار وقل بيتا آخر، فقال:

من نور وجهك تضحى الأرض مشرقة ... ومن بنانك يجري الماء في العود

قال: يا غلام أعطه ألف دينار وقل بيتاً آخر، فقال الغلام: لا تقل شيئاً بعد ذلك، والله لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت. ثم انصرف.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٤٤

(٢) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص٢٥٤ .

أتذكر إذ لحافك جلد شاة[1]:

تذاكر جماعة فيما بينهم آثار معن بن زائدة وأخبار كرمه معجبين بما هو عليه من التودد ووفرة الحلم ولين الجانب وغالوا في ذلك كثيراً فقام أعرابي وأخذ على نفسه أن يغضبه فأنكروا عليه ووعدوه بمائة بعير إن هو فعل ذلك، فعمد الأعرابي إلى بعير فسلخه وارتدى بإهابه[2] واحتذى[3] ببعضه جاعلاً باطنه ظاهراً ودخل عليه بصورته تلك وأنشأ يقول:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن: أذكر ذلك ولا أنساه، فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن: إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء، فقال الأعرابي:

فلست مسلماً إن عشت دهراً ... على معن بتسليم الأمير

فقال معن: السلام خير وليس في تركه ضير، فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ... ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: إن جاورتنا فمرحباً بالإقامة وإن جاوزتنا فمصحوباً بالسلامة، فقال الأعرابي:

فجد لي يا ابن ناقصة[4] بمال ... فإني قد عزمت على المسير

فقال معن: أعطوه ألف دينار تخفف عنه مشاق السفر. فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإني ... لأطمع منك في الكثير

فثن فقد أتاك الملك عفوا ... بلا عقل ولا رأي منير

---

(١) قصص العرب ـ ج٢ ص٢٤٣ .

(٢) بأهابه: الجلد الذي لم يدبغ

(٣) احتذى: أنتعل .

(٤) يا ابن ناقصة بدلا من قوله ابن زائدة .

فقال معن: أعطوه ألفاً ثانية كي يكون عنا راضياً. فتقدم الأعرابي وقبل الأرض بين يديه وقال:

سألت الله أن يبقيك دهرا ... فما لك في البرية من نظير

فمنك الجود والأفضال حقا ... وفيض يديك كالبحر الغزير

فقال معن: أعطيناه على هجونا ألفين فليعط أربعة على مدحنا.

فقال الأعرابي: بأبي أيها الأمير ونفسي فأنت نسيج وحدك في الحلم ونادرة دهرك في الجود ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ولقد كنت في صفاتك بين مصدق ومكذب فلما بلوتك صغّر الخبر الخبر وأذهب ضعف الشك قوة اليقين وما بعثني على ما فعلت إلا مائة بعير جعلت لي على إغضابك فقال له معن: لا تثريب عليك ووصله بمائتي بعير نصفها للرهان والنصف الآخر له فانصرف الأعرابي داعيا له شاكرا لهباته معجبا بأناته.

وكان يقال في معن: حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج.

وأتاه رجل يسأله[1] أن يحمله ؟ فقال يا غلام: أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية وقال معن: لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لأعطيتك.

ومن أخبار معن: قال شرحبيل بن معن بن زائدة: حج هارون الرشيد وزميله أبو يوسف القاضي وكنت كثيرا ما أسايره إذ اعرض له أعرابي من بني أسد فأنشده شعرا مدحه فيه وأفرط فقال له هارون الرشيد. ألم أنهك عن مثل هذا في مدحك يا أخا بني أسد؟ إذا قلت فينا فقل كقول القائل في أبي هذا يعني معن والد شرحبيل:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... اسود لها في غيل خفان أشبل

هم يمنعون حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل

بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول

وما يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

(١) العقد الفريد ـ لأبن عبد ربه ج١ ص٣٠٢ .

ومن مروءة وشهامة معن:

أهدر أبو جعفر المنصور دم رجل، كان يسعى بفساد دولته[1] مع الخوارج من أهل الكوفة. وجعل لمن دل عليه، أو جاء به مائة ألف درهم. ثم إن الرجل ظهر ببغداد، فبينما هو يمشي مختفياً في بعض نواحيها، إذ بصر به رجل من أهل الكوفة، فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين.

فبينما الرجل على هذه الحال إذ سمع وقع حوافر الخيل، فالتفت فإذا معن بن زائدة فاستغاث به، وقال أجرني أجارك الله! فالتفت معن إلى الرجل المتعلق به، وقال له: ما شأنك وهذا؟ فقال: إنه بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم. فقال: دعه. وقال لغلامه: انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها.

فصاح الرجل المتعلق به وصرخ واستجار بالناس، وقال: أيحال بيني وبين بغية أمير المؤمنين؟ فقال له معن: اذهب فقل لأمير المؤمنين وأخبره أنه عندي.

فانطلق الرجل إلى المنصور وأخبره، فأمر المنصور بإحضار معن في الساعة؛ فلما وصل أمرُ المنصور إلى معن دعا جميع أهل بيته ومواليه وأولاده وأقاربه وحاشيته وجميع من يلوذ به وقال لهم: أقسم عليكم ألا يصل إلى هذا الرجل مكروه أبدا وفيكم عين تطرف.

ثم إنه سار إلى المنصور؛ فدخل وسلم عليه، فلم يرد عليه المنصور السلام، ثم قال له: يامعن؛ أتتجرأ عليّ ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين! فقال المنصور: ونعم أيضا وقد اشتد غضبه.

فقال معن: يا أمير المؤمنين؛ كم من مرة تقدم في دولتكم بلائي وحسن غنائي[2] ؟ وكم من مرة خاطرت بدمي ؟ أفما رأيتموني أهلا لأن يوهب لي رجل واحد استجار بي بين الناس يوهمه أني عبد من عبيد أمير المؤمنين، وكذا أنا! فمرْ بما شئت وهأنذا بين يديك !

---

(١) قصص العرب ـ محمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص٢٥٠.

(٢) الغناء: النفع.

فأطرق المنصور ساعة، ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب، وقال له: قد أجرناه لك يا معن. فقال له معن: إن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين فأمر له بصلة أحياه وأغناه.

فقال المنصور: قد أمرنا له بخمسين ألف درهم. فقال معن: يا أمير المؤمنين؛ إن صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وإن ذنب الرجل عظيم، فأجزل له صلته. قال: قد أمرنا له بمائة ألف درهم، فقال له معن: عجلها يا أمير المؤمنين، فإن خير البر عاجله، فأمر بتعجيلها، فحملها وانصرف وأتى منزله؛ وقال للرجل: خذ صلتك والحق بأهلك وإياك ومخالفة الخلفاء في أمورهم بعد هذه.

ومن نوادر معن[1]:

خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخاً مقبلاً من البرية على حمار. فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال له معن: من أين وإلى أين ؟ قال: أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت هذه السنة فزرعتها مقثأة فأخرجت القثاء في غير أوان فجمعت منها ما استحسنته وقصدت معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور، وإحسانه الموفور.

قال: وكم أملت منه؟ قال: ألف دينار، قال: فإن قال لك كثير، قال: خمسمائة. فإن قال لك كثير، قال: ثلاثمائة. فإن قال لك كثير، قال: مائة فما زال به حتى.، قال: لا أقل من ثلاثين. قال فإن قال لك كثير، قال: أدخل قوائم حماري في عينيه وأرجع إلى أهلي خائبا.

فضحك معن وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه: إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فأدخل به عليَّ. فأتى الرجل بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه

---

(١) قصص العرب ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وشركاؤه ج٣ ص٢٤٥ .

لهيبته وجلاله وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال: ما الذي أتى بك يا أخا العرب؟ قال: أملت فضل الأمير وأتيته بقثاء في غير أوان. فقال: كم أملت فينا ؟ قال: ألف دينار، قال معن: كثير، فقال الرجل في نفسه: والله لقد كان ذلك الرجل شؤماً عليَّ. ثم قال: خمسمائة دينار، قال: كثير. ثم ما زال به إلى أن قال: خمسين دينارا، فقال له: كثير، فقال لا أقل من الثلاثين دينارا. فضحك معن. فعلم الأعرابي أنه صاحبه فقال: يا سيدي إن لم تجب إلى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وهاهو ذا معن جالس. فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا وكيله فقال: أعطه ألفا وخمسمائة وثلاثمائة ومائة وخمسين وثلاثين ودع الحمار مكانه.

ويحكى[1] أن معن بن زائدة خرج يوماً للصيد فعطش فلم يجد ماء مع غلمانه فبينما هو كذلك وإذا بثلاث بنات أبكار كأنهن الأقمار قد أقبلن حاملات ثلاث قرب فأسقينه، فطلب شيئا من الدنانير مع غلمانه فلم يجد فدفع إلى كل واحدة منهن عشرة أسهم نصالها من ذهب فقالت إحداهن: يا ويلكن لم تكن هذه الشمائل الكريمة الزائدة إلا في معن بن زائدة فلتقل كل واحدة منا فيه شعراً. فقالت الأولى:

يركب في السهام نصال تبر ... ويرمي للعدا كرما وجودا

فللمرض علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية:

ومحارب من فيض جود بناته ... عمت مكارمه الأقارب والعدا

صبغت نصول سهامه من عسجد ... كي لا يفوته القتال عن الندى

وقالت الثالثة:

ومن جوده يرمي العداة بأسهم ... من الذهب الأبريز صيغت نصولها

(١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ـ للعباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي المكي ج١ ص٣٩٥

لينفقها المجروح عند انقطاعه ويشتري الأكفان منها قتيلها

فرحم الله ذلك الزمان وأهله، وأما زماننا هذا الذي هو أعجوبة العالمين فإن بعض أهله لا يفرقون بين البعر والتين ولله در لبيد الشاعر يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

خاتمة معن

وكان[1] معن تولى سجستان في أواخر أمره، وانتقل إليها، وله فيها آثار وماجرايات، وقصده الشعراء بها، فلما كانت سنة إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين، وقيل ثمان وخمسين ومائة كان في داره صناع يعملون له شغلا، فاندس بينهم قوم من الخوارج، فقتلوه بسجستان وهو يحتجم، فتتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم بأسرهم، وكان قتله بمدينة بُست. ولما قتل معن رثاه الشعراء بأحسن المراثي، فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة شاعره المذكور، وهي قصيدة من أفخر الشعر وأحسنه وأولها:

مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبيد ولن تنالا

كأن الشمس يوم أصيب معن من الإظلام ملبسة جلالا

هو الجبل الذي كانت نزار تهد من العدوّ به الجبالا

وعطلت الثغور لفقد معن وقد يروى بها الأسل النهالا

وأظلمت العراق وأورثتها مصيبته المجللة اختلالا

وظل الشام يرجف جانباه لركن العز حين وهى فمالا

وكادت من تهامة كل أرض ومن نجد تزول غداة زالا

فان يعل البلاد له خشوع فقد كانت تطول به اختيالا

أصاب الموت يوم أصاب معناً من الأحياء أكرمهم فعالا

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٥ ص٢٤٩ .

وكان الناس كلهم لمعن ... إلى أن زار حفرته عيالا

ولم يك طالب للعرف ينوي ... إلى غير ابن زائدة ارتحالا

مضى من كان يحمل كل ثقل ... ويسبق فيض نائله السؤالا

وما عمد الوفود لمثل معن ... ولا حطوا بساحته الرحالا

ولا بلغت أكفُّ ذوي العطايا ... يميناً من يديه ولا شمالا

وما كانت تجف له حياض ... من المعروف مترعة سجالا

لأبيض لا يعد المال حتى ... يعم به بغاة الخير مالا

فليت الشامتين به فدوهُ ... وليت العمر مد له فطالا

ولم يك كنزهُ ذهباً ولكن ... سيوف الهند والحلق المذالا

وما رنة من الخطي سمراً ... ترى فيهن لينا واعتدالا

وذخراً من محامد باقيات ... وفضل تقىً به التفضيل نالا

ومنها:

مضى لسبيله من كنت ترجو ... به عشرات دهرك أن تقالا

فلست بمالك عبرات عين ... أبت بدموعها إلا انهمالا

وفي الأحشاء منك غليل حزن ... كحر النار تشتعل اشتعالا

وقائلة رأت جسمي ولوني ... معاً عن عهدها قلباً فحالا

أرى مروان عاد كذي نحول ... من الهندي قد فقد الصقالا

رأت رجلاً براهُ الحزن حتى ... أضر به وأورثه خبالا

فقلت لها: الذي أنكرت مني ... لفجع مصيبة أنكى وعالا

وأيام المنون لها صروف ... تقلب بالفتى حالا فحالا

كأن الليل واصل بعد معن ... ليالي قد قرن به فطالا

فلهف أبي عليك إذا العطايا جعلن منىً كواذب واعتلالا

ولهف أبي عليك إذا اليتامى غدوا شعثا كأن بهم سلالا

ولهف أبي عليك إذا القوافي لممتدح بها ذهبت ضلالا

ولهف أبي عليك لكل هيجا لها تلقى حواملها السخالا

أقمنا باليمامة إذ يئسنا مقاماً لا نريد له زيالا

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

وما شهد الوقائع منك أمضى وأكرم مقدما وأشد بالا

سيذكرك الخليفة غير قال إذا هو في الأمور بلا الرجالا

ولا ينسى وقائعك اللواتي على أعدائه جعلت وبالا

ومعتركاً شهدت به حفاظاً وقد كرهت فوارسه النزالا

حباك أخو أمية بالمراثي مع المدح الذي قد كان قالا

أقام وكان نحوك كل عام يطيل بواسط الرحل اعتقالا

وألقى رحله أسفا وآلى يميناً لا يشد له حبالاً

وهذه[1] المرثية من أحسن المراثي وقال: عبد الله بن المعتز في كتاب (طبقات الشعراء): دخل مروان بن أبي حفصة على جعفر البرمكي فقال له: ويحك، أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة، فقال: بل أنشدك مديحي فيك، فقال جعفر: أنشدني مرثيتك في معن، فأنشأ يقول:

وكان الناس كلهم لمعن إلى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه، فلما فرغ قال له جعفر: هل أثابك على هذه المرثية أحد من ولده وأهله شيئا؟ قال: لا، قال جعفر: فلو كان

(١) المصدر ـ وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٥ ص٢٥١.

معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها؟ قال: أصلح الله الوزير، أربعمائة دينار قال جعفر: فإنا نظن أنه كان لا يرضى لك بذلك قد أمرنا لك عن معن، رحمة الله تعالى عليه، بالضعف مما ظننت، وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن ألف وستمائة دينار قبل أن تنصرف إلى رحلك.

فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح به عن معن:

نفحت مكافئاً عن قبر معن ... لنا مما تجود به سجالا

فعجلت العطية يا ابن يحيى ... لنادبه ولم تزد المطالا

فكافأ عن صدى معن جواد ... بأجود راحة بذل النوالا

بنى لك خالد وأبوك يحيى ... بناء في المكارم لن ينالا

كأن البرمكي بكل مال ... تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف.

وحكى[1] أبو الفرج الأصفهاني في كتاب (الأغاني) عن محمد البيذق النديم أنه دخل على هارون الرشيد، فقال له: أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن ابن زائدة فأنشده بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد، قال: و كان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه.

ويقال: إن مروان بن أبي حفصه بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره، فإنه كان إذا مدح خليفة أو من دونه قال له: أنت قلت في مرثيتك:

وقلنا أين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا.

حدث[1] الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره، فأنشده مديحا، فقال له: من أنت؟ فقال: شاعرك مروان بن أبي حفصة، فقال له المهدي: ألست القائل:

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٥ ص٢٥٢ .

وقلنا أين نرحل بعد معن.

وأنشده البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال ؟! لاشيء لك عندنا جروا برجله. قال: فجروا برجله حتى أخرجوه، فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة، قال: فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي أولها[1].

طرقتك زائرة فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالحياء دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

فأنصت له حتى بلغ إلى قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها

فأنصت له المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيئاً فشيئاً منها حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال له: كم بيت هي؟ فقال: مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم ويقال إنها أول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس. قال الفضل بن الربيع فلم تلبث الأيام إلى أن أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد، ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه، وقد أنشده شعرا فقال له: من أنت؟ فقال: شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له: ألست القائل في معن كذا وأنشده البيت المذكور ثم قال: خذوا بيده فأخرجوه فإنه لاشيء له عندنا، ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته.

---

(١) وفيات الأعيان. لابن خلكان ج٥ ص٢٥٢.

في رثاء معن

ومن المراثي النادرة في معن أيضا أبيات الحسين بن مطير بن الأشيم الأسدي في معن بن زائدة أيضا وهي من أبيات الحماسة:

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

ويا قبر معن أنت أول ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

والحوفزان بن شريك الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة أخو جده مطر بن شريك الشيباني.

ولولا خوف الإطالة لأتينا على محاسنه كلها

المبحث الثاني

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي[1]

هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم.

هو أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده. كان كريماً سريّاً جواداً شجاعاً مقدماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة، أخذ عنه الأدباء والفضلاء.

وهو الذي قال فيه الشاعر المشهور وأحد فحول الشعراء المبرزين أبو الحسن علي جبله بن مسلم بن عبد الرحمن المعروف بالعكوك [2] [والذي قال الجاحظ في حقه: كان أحسن خلق الله إنشادا ما رأيت مثله لا بدويا ولا حضريا] وكان من الموالي وله في أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غر المدائح ومن قصائده في أبي دلف القصيدة التي أولها:

ذاد ورد الـــغـــيّ عـــن صـــدره ... فـــأرعـــوى الـــلـــهـــو مـــن وطـــره

إنـــمـــا الـــدنـــيـــا أبـــو دلـــف ... بـــيـــن مـــغـــزاه ومـــحـــتـــضـــره

فـــإذا ولـــى أبـــو دلـــف ... ولـــت الـــدنـــيـــا عـــلـــى إثـــره

كـــل مـــن فـــي الأرض مـــن عـــرب ... بـــيـــن بـــاديـــه إلـــى حـــضـــره

مـــســـتـــعـــيـــر مـــنـــك مـــكـــرمـــة ... يـــكـــتـــســـبـــهـــا يـــوم مـــفـــتـــخـــره

وقال[3] علي بن يوسف: كنت عند أبي دلف فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس[4] فقال له: أي شيء أصنع بموسوس قد قضينا حقوق العقلاء وبقي علينا

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٤ص٧٣ .

(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٣ ص٣٥٠.

(٣) قصص العرب ـ محمد أبو الفضل وشركاؤه ج٤ ص٤٣١ .

(٤) شاعر أديب نشأ في بغداد .

حقوق المجانين. فقلت له: جعلت فداء الأمير موسوس أفضل من كثير من العقلاء وإن له لسانا يتقى وقولا مأثورا يبقى فالله الله أن تحجبه فليس عليك منه أذى. فأذن له فلما مثل بين يديه قال:

يـا أكـرمَ الـعـالـم مـوجـوداً ... ويـا أعـزَّ الـنـاس مـفـقـوداً

لـمـا سـألـتُ الـنـاس عـن واحـدٍ ... أصـبـح فـي الأمـة مـحـمـودا

قـالـوا جـمـيـعـاً: إنـه قـاسـم ... أشـبـه آبـاء لـه صـيـدا

لـو عـبـدوا شـيـئـا سـوى ربـهـم ... أصـبـحـتَ فـي الأمـةِ مـعـبـودا

لا زلـت فـي نـعـمـى وفـي غـبـطـة ... مُـكـرمـاً فـي الـنـاس مـعـدُودا

فأمر له بكسوة وبألف درهم فلما جيء بالدراهم أخذ منها عشرة وقال: تأمر القهرمان أن يعطيني الباقي مفرقا كلما جئت لئلا يضيع مني. فقال للقهرمان: أعطه المال وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا. فبكى عند ذلك جعيفران وتنفس الصعداء وقال:

يـمـوت هـذا الـذي أراه ... وكـل شـيء لـه نـفـاد

لـو غـيـر ذي الـعـرش دام شـيء ... لـدام ذا الـمـفـضـل الـجـواد

ثم خرج من عنده. فقال أبو دلف: أنت كنت أعلم به مني.

قال[1] وغبر[2] عني مدة ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن ما فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله فقلت بخير وعلى غاية الشوق إليك فقال: أنا والله يا أخي أشوق ولكني أعرف أهل العسكر وشرههمُ وإلحاحهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركه كرمه أن يخليهم من العطية حتى يخرج فقيرا فقلت: دع هذا عنك وزره فإن كثرة السؤال لا تضر بماله فقال وكيف ؟ أهو أيسر من الخليفة؟ قلت: لا. قال: والله لو تبذل[3] لهم الخليفة

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل إبراهيم وشركاه ج٤ ص ٤٣٢

(٢) غبر: مكث وذهب ضد.

(٣) الابتذال: ضد الصيانة.

كما يتبذَّل أبو دلف، وأطمعهم في ماله كما يطمعهم لأفقروه في يومين ولكن أسمع ما قلته في وقتي هذا، فقلت هاته يا أبا الفضل! فأنشأ يقول:

أبا حسن بلغن قاسما ... بأني لم أجفه عن قلا[1]

ولا عن ملال لإتيانه ... ولا عن صدود ولا عن عنا

ولكن تعففت عن ماله ... وأصفيته[2] مدحتي والثنا

أبو دلف سيد ماجد ... سني العطية رحب الفنا

كريم إذا أنتابه المعتفون ... عمهم بجزيل الحبا[3]

قال: فابلغتها أبا دلف وحدثته بالحديث الذي جرى فقال لي قد لقيته منذ أيام فلما رأيته وقفت له وسلمت عليه وتحفيت[4] به فقال لي: سرأيها الأمير على بركة الله ثم قال لي:

يا معدي الجود على الأموال ... ويا كريم النفس في الفعال

قد صنتني عن ذلة السؤال ... بجودك الموفى على الآمال

صانك ذو العزة والجلال ... من غير الأيام والليالي.

قال ولم يزل يختلف إلى أبي دلف ويبره حتى افترقا.

مدحة شاعر وعطية أمير[5]:

قال علي بن جبلة الشاعر: زرت أبا دلف بالجبل[6] فكان يظهر من إكرامِي وبرِّي والتحفّي[7] بي أمراً مفرطاً، حتى تأخرت عنه حيناً حياءً؛ فبعث إلى معقل بن عيسى فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعت عني وأحسبك استقللت بِرِّي بك، فلا يغضبنك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلا إفراطُه في البر، وكتبت إليه:

---

(١) القلا: البغض.

(٢) أصفيته: أخلصها له.

(٣) الحبا: العرطاء.

(٤) تحفى به: بالغ في إكرامه.

(٥) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل إبراهيم وشركاؤه ج٢ ص ٣٣٩.

(٦) الجبل: مدن بين أذربيجان والعراق.

(٧) التحفي: المبالغة في إكرامه.

هجرتك لم أهجرك من كفرِ نعمةٍ وهل يُرتَجى نيلُ الزيادةِ بالكفرِ !
ولكنني لما أتيتُك زائراً فأفرطتَ في برّي عجزتُ عن الشكر
فِملآن[1] لا آتيك إلا مسلِّما أزورك في الشهرين يوماً أو الشهرِ
فإن زدتني برًّا تزايدتُ جفوةً ولم تلقني طول الحياةِ إلى الحشر !

فلما قرأها معقل استحسنها وقال: أحسنت والله! أما أن الأمير لتعجبه هذه المعاني.

فلما أوصلها إلى أبي دلف قال: قاتله الله! ما أشعره وأدق معانيه! وأعجبته وأجابني لوقته وكان حسن البديهة حاضر الجواب:

ألاَربّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطته وآنستهُ قبل الضيافة بالبشرِ
أتاني يرجّينِي فما حال دونه ودون القرى والعرف من نائلي ستري
وجدتُ له فضلاً عليّ بقصده إليَّ، وبرّا زاد فيه على برِّي
فزوّدته مالاً يقل بقاؤه وزوّدني مدحاً يدوم على الدهرِ

وبعث إليَّ بالأبيات مع وصيف له، وبعث إليَّ بألف دينار ؛ فقلت حينئذ:

إنما الدنيا أبو دلف بين مبدأه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره.

ولقد مدحه[2] أبو تمام الطائي بأحسن المدائح، وكذلك بكر بن النطاح وفيه يقول:

يا طالبا للكيمياء وعلمه مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم ومدحته لأتاك ذاك الدرهم.

ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم، فأغفله قليلاً ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة، فأنشده:

---

(١) قملآن: يرد فمن الآن.

(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٤ ص٧٤ .

بـك ابـتـعـتُ فـي نـهـر الأبـلـة قـريـةً عـلـيـهـا قـصـيـرٌ بـالـرّخـام مـشـيـدُ
إلـى جـنـبـهـا أخـتٌ لـهـا يـعـرضـونـهـا وعـنـدك مـال لـلـهـبـات عـتـيـد

فقال له: كم ثمن هذه الأخت؟ فقال عشرة آلاف درهم، فدفعها له ثم قال له: تعلم أن نهر الأبلة نهر عظيم وفيه قرى كثيرة، وكل أخت إلى جانبها أخرى، وإن فتحت هذا الباب اتسع عليَّ الخرق فاقنع ونصطلح عليه فدعا له وانصرف.

وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله، فطعن فارساً فنفذت إلى أن وصلت إلى فارس آخر وراءه رديفه، فنفذ فيه السنان فقتلهما وفي ذلك يقول بكر بن النطاح:

قـالـوا ويـنـظـم فـارسـيـن بـطـعـنـة يـوم الـهـيـاج ولا تـراه كـلـيـلا
لا تـعـجـبـوا فـلـو أن طـول قـنـاتـه مـيـل إذاً نـظـم الـفـوارس مـيـلا

وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون[1]، واشتهر ذلك عنه فدخل عليه بعضهم وأنشده:

أيـا رب الـمـنـائـح والـعـطـايـا ويـا طـلـق الـمـحـيـا والـيـديـن
لـقـد خـبـرت أن عـلـيـك ديـنـا فـزد فـي رقـم ديـنـك واقـض ديـنـي

فوصله وقضى دينه.

إن أبا دلف لما مِرض مرض موته[2] حجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام فقال لحاجبه: من بالباب من المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف من أبناء علي بن أبي طالب قد وصلوا من خراسان ولهم في الباب عدة أيام

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٤ ص٧٥.
(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٤ ص٧٧.

لم يجدوا طريقاً. فقعد على فراشه واستدعاهم فلما دخلوا رحب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك. فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق، وأخرج منه عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار، ودفع لكل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد منهم مؤونة طريقه وقال لهم: لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق. ثم قال: ليكتب لي كل واحد منكم خطه: أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ ثم ليكتب: يا رسول الله إني وجدت إضاقة وسوء حال في بلدي وقصدت أبا دلف العجلي، فأعطاني ألفي دينار كرامة لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاء لشفاعتك، فكتب كل واحد منهم ذلك وتسلم الأوراق. وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه، حتى يلقى بها رسول الله ﷺ ويعرضها عليه.

وكانت وفاته سنة ست وعشرين وقيل خمس وعشرين ومائتين للهجرة رحمه الله.

ولقي[1] أبو دلامة الشاعر أبا دلف في مصاد له وهو والي العراق فأخذ بعنان فرسه وأنشد:

إني حلفت لئن رأيتك سالما ... بقرى العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد ... ولتملأن دراهماً حجري

فقال له أبو دلف: أما الصلاة على النبي محمد فنعم ﷺ، وأما الدراهم فلما ترجع إن شاء الله تعالى قال له: جعلت فداك لا تفرق بينهما فاستلفها له وصبت في حجره حتى أثقلته.

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة[2]

---

(١) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي ج١ ص٢٦٣.

(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٤ ص٧٦.

الـلـه أجـرى مـن الأرزاق أكـثـرهـا عـلـى يـديـك تـعـلَّـم يـا أبـا دلـف
مـا خـط (لا) كـاتـبـاه فـي صـحـيـفـتـه كـمـا تـخـطـط (لا) فـي سـائـر الـصـحـف
بـارى الـريـاح فـأعـطـى وهـي جـاريـة حـتـى إذا وقـفـت أعـطـى ولـم يـقـف

فأعطاه ثلاثين آلف درهم .

وقيل:

إن جارا لأبي دلف ببغداد لزمه كبير دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره فساوموه بها فسألهم ألفي دينار فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة.

قال وجواري من أبي دلف بألف وخمسمائة فبلغ ذلك أبا دلف فأمر بقضاء دينه وقال له لأبتع دارك ولا تنتقل من جوارنا.

المبحث الثالث

عبد الله بن طاهر بن الحسين

أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان[1]، وقيل مصعب بن طلحة بن رزيق الخزاعي بالولاء. كان جده رزيق بن ماهان مولى طلَحه الطلحات الخزاعي المشهور بالكرم والجود المفرط.

وكان أبوه طاهر من أكبر أعوان المأمون والملقب ذا اليمينين وكان عبد الله المذكور سيّداً نبيلا عالي الهمة شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه لذاته، ورعاية لحق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان والياً على الدينور. فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد فأمر المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين بالخروج إلى خراسان والقضاء عليهم فخرج عبد الله من الدينور إلى خراسان وحارب الخوارج جماعة بابك الخرمي وقضى عليهم سنة ثلاث عشرة ومائتين للهجرة.

وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة، فلما دخلها أمطرت مطراً كثيراً، فقام إليه رجل بزاز من حانوته وأنشده:

قد قحط الناس في زمانهم ... حتى إذا جئت جئتَ بالدرر

غيثان في ساعة لنا قدما ... فمرحباً بالأمير والمطرِ

وكان عبد الله المذكور أديباً ظريفاً جيد الغناء، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتاً كثيرة أحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر مليح ورسائل ظريفة فمن شعره قوله:

نحن قوم تُلينُنا الحدَقُ النجـ ... ـلُ على أننا نلين الحديدا

طوع أيدي الظباء تقتادنا العيـ ... ـن ونقتاد بالطعان الأسودا

---

(١) وفيات الأعيان. لابن خلكان ج٢ ص٥١٧ و ج٣ ص٨٣.

نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـض المصونات أعيناً وخدوداً

تتقي سخطنا الأسود ونخشى سخط الخشف حين يبدي الصدودا

فترانا يوم الكريهة أحرا را وفي السلم للغواني عبيدا

وكان عبد الله أحد الأجواد الأسخياء.

شكا[1] اليزيدي إلى المأمون خَلَّةً[2] أصابته ودينا لحقه، فقال: ما عندنا في هذه الأيام ما أن أعطيناكه بلغت به ما تريد. فقال: يا أمير المؤمنين إن الأمر قد ضاق عليّ وإن غرمائي قد أرهقوني، قال: فرُم لنفسك أمراً تنل به نفعا فقال: لك منادمون فيهم ما إن حركته نلت منه ما أحبُّ فأطلق لي الحيلة فيهم قال: قل ما بدا لك قال: فإذا حضروا وحضرت فمر فلانا الخادم أن يوصل إليك رقعتي فإذا قرأتها فأرسل إليَّ: دخولك في هذا الوقت متعذر ولكن اختر لنفسك من أحببت.

فلما علم اليزيدي بجلوس المأمون، واجتماع ندمائه إليه وتيقن أنهم في سرورهم أتى الباب فدفع إلى ذلك الخادم رقعة قد كتبها، فأوصلها إلى المأمون فقرأها فإذا فيها:

يا خيرَ إخواني وأصحابي هذا الطفيلي لدى الباب

خبّر أن القوم في لذةٍ يصبو إليها كلُّ أوابِ

فصَيُرُوني واحداً منكم أو أخرجوالي بعض أترابي

فقرأها المأمون على من حضره فقالوا: ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحالة، فأرسل إليه المأمون دخولك في هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت تنادمه.

فقال: ما أرى اختياراً غير عبد الله بن طاهر فقال له المأمون: قد وقع اختياره عليك فسر إليه قال: يا أمير المؤمنين فما أكون شريك الطفيلي! قال ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين فإن أحببت أن تخرج وإلا فأفتد نفسك. فقال: يا أمير المؤمنين له عليَّ عشرة

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج٤ ص٤٢٢ .

(٢) خَلَّةً: الحاجة والفقر.

آلاف درهم قال لا أحسب ذلك يقنعهُ منك ومن مجالستك قال: فلم يزل يزيده عشرة عشرة والمأمون يقول له: لا أرضى له بذلك حتى بلغ مائة ألف فقال له المأمون: فعجلها له فكتب له بها إلى وكيله ووجه معه رسولا فأرسل إليه المأمون: قبض هذه في مثل هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله، وأنفع عاقبةً.

ومن[1] أخباره قال محمد الفضل الخرساني:

لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع[2]، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني[3] فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد، فلما ولى عبد الله بن طاهر مصر ورد إليه تدبير أمر الشام علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب ولا ينجو من يده حيث حل فثبت في موضعه وترك أمواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعه وفتح باب حصنه وجلس عليه ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به.

فلما شارفنا بلده وكنا على أن نصحبه دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بت عندي الليلة وليكن فرسك معداً عندك ففعلت.

فلما كان السحر أمر غلمانه وأصحابه ألا يرحلوا حتى تطلع الشمس وركب وركبت معه أنا وخمسة من خواص غلمانه. فسار حتى صبّح الحصني، فرأى بابه مفتوحا ورآه جالساً فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له: ما أجلسك هاهنا وحملك على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل ولم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك ؟ فقال: أن ما قلت لم يذهب عني ولكني تأملت أمري وعلمت أني أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة وإني إن هربت منه لم أفته، فباعدت البنات والحرم واستسلمت بنفسي وكل ما أملك وإني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا يوجب جرمي أكثر مما بذلته.

---

(١) قصص العرب. ج١ ص٣١٤.

(٢) المخلوع: الآمين.

(٣) الحصني: كان من ولد مسلمة بن عبد الملك.

قال: فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته ثم قال له: أتعرفني ؟ قال: لا والله ! قال: أنا عبد الله بن طاهر وقد أمنَ الله تعالى روعتك وحقن دمك وصان حرمك وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن هجوم الجيش ولئلا يخالط عفوي عنك روعةٌ تلحقك.

فبكى الحصني وقام فقبل رأسه وضمه عبد الله وأدناه ثم قال له: أما الآن فلا بد من عتاب: يا أخي جعلني الله فداك ـ قلت شعراً في قومي أفخر بهم لم أطعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلاً عليك وفخرت بقتل رجل وإن كان من قومك فهم القوم الذين ثأرك عندهم فكان يسعك السكوت!.

فقال: أيها الأمير قد عفوت فاجعل العفو الذي لا يخالطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب. قال: قد فعلت فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجب عليك حقاً بالضيافة فقام مسروراً فأدخلنا. فأتى بطعام كان قد أعده. فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف له وأقبل الجيش، فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ولا ينزل أحد منهم إلا في المنزل وهو على ثلاث فراسخ ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاثة سنين وقال له: إن نشطت لنا فالحقْ بنا وإلا فأقم بمكانك. قال: فأنا أتجهز وألحق بالأمير ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق فودَّعه وأقام ببلده.

ومن أخباره[1]:

سمع طاهر بن الحسين عوف بن محُلّم[2] الخزاعي ينشد شعراً يقول فيه:

عجبتُ لحراقة ابن الحسين ... كيف تعوم ولا تغرقُ

وبحران: من تحتها واحدٌ ... وآخر من فوقها مطبقُ

وأعجبُ من ذاك عيدانها ... وقد مسها كيف لا تورقُ !

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص٣٩٩ .

(٢) أحد العلماء الأدباء الرواة الندماء الشعراء.

فأدخله، وأنشده إياها ؛ ثم اختصّه بمنادمته ؛ واختاره لمسامرته ؛ وكان لا يخرج في سفرٍ إلا أخرجه معه ؛ وجعله زميله وأنيسه وعديله، وكان عوف يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه، فلا يأذن له، ولا يسمح به، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص ؛ وأنه سيتركه يلحق بأهله ويرجع إلى وطنه فقربه عبد الله بن طاهر من نفسه وأنزله منزلته من أبيه وكان عبد الله أديبا فاضلا عالماً بأخبار الناس، فلما وقف على أدب عوف وفضله تمسك به وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسن حاله وتلطف بجهده أن يأذن له عبد الله في العود إلى وطنه فلم يكن إلى ذلك سبيل !

وحفزه الشوق إلى أهله وأهمه أمرهم فاتفق إن خرج عبد الله من بغداد يريد خراسان فصير عوف عديله[1] يستمتع بمسامرته ويرتاح إلى محادثته إلى أن دنا من الري فلما شارفها سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد وأشجى صوت فأعجب عبد الله بصوته والتفت إلى عوف بن محلم فقال له: يا بن محلم هل سمعت قط أشجى من هذا الصوت وأطرب منه ؟ فقال: لا والله يا أيها الأمير وإنه لحسن الصوت شجي النغمة مطرب التغريد.

فقال عبد الله: قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

أَلاَ يـا حـمَـامَ الأَيـك ألـفـك حـاضـرُ ... وغـصْـنـكَ مـيَّـاد فـفـيـم تـنـوح

أَفـق لاَ تـنـحْ مـن غـيـر شـيءٍ ! فـإنـنـيّ ... بـكـيـتُ زمـانـاً والـفـؤادُ صـحـيـحُ

ولـوعـاً فـشـطَّـت غـربـةً دار زيَـنـب ... فـهـا أنـا أبـكـي والـفـؤادُ قـريـحُ.

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد ثم قال: أصلح الله الأمير؛ إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً، ما فيهم إلا مفلق، وما كان فيهم مثلُ أبي كبير ؛ فإنه كان يبدع في شعره، ويفهم آخر قوله وأوله، وما شيء أبلغ في الشعر من الإبداع فيه !

(١) عديله: يقال عادله في المحمل أي ركب معه على الجمل كل راكب بجهة .

قال عبد الله: أقسمت عليك إلا أجزت شعرَ أبى كبير! قال عوف: أصلح الله الأمير! قد كبرت سنِّي، وفنى ذهني، وأنكرتُ كل ما كنت أعرفه ! قال عبد الله: سألتك بحق طاهر إلا فعلت! وكان لا يسأل بحق طاهر شيئا إلا ابتدر إليه فلما سمع عوف ذلك أنشأ يقول:

أفي كل عام غرْبة ونزوحُ ... أما للنوى من ونيةٍ فتريحُ

لقد طلح البين المشِتُّ ركائبي ... فهل أرين البينَ وهو طليحُ

وأرقَني بالريَّ نوح حمامةٍ ... فنحت وذو البثَّ الغريب ينوحُ

على أنها ناحت ولم تذْر دمعةً ... ونحت وأسرابُ الدموعِ سفوحُ

وناحتْ وفرخاها بحيثُ تراهما ... ومن دون أفراخي مهامهُ فيحُ

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفكَ حاضرُ ... وغصُنك ميَّادُ ففيم تنوحُ !

عَسى جودُ عبد الله أن يعكس النوى ... فُيلقيِ عصا التطواف[1] وهي طريحُ

فإن الغنى يُدني الفتَى من صديقه ... وعُدْمُ الغنِى بالمقترين طُروحُ[2]

فاستعبر[3] عبد الله ورق له وجرت دموعه وقال له: والله إني لضنين بمفارقتك، شحيح على الفائت من محاضرتك ولكن والله لا أعملت معي خفّا ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ثم أمر له بثلاثين ألف درهم فقال يمدح عبد الله وأباه:

يا بن الذي دان له المشرقان ... والبس الأمن به المغربان[4]

إن الثمانين وبلغتَها ... قد أحوجت سمعِي إلى ترجمان

وأبدلتني بالشطاط الحنا ... وكنت كالصعدة تحت السنان[5]

---

(١) التطواف: مصدر طاف والقاء عصا التطواف كناية عن الاستقرار وترك السفر وطريح يعني مطروح.

(٢) طروح: رام وقاذف، صيغة مبالغه، والمقترين: المضيقين على عيالهم بالنفقة .

(٣) استعبر: جرت عبرته أي دمعته وحزن.

(٤) أي يابن من حكم المشرقين.

(٥) الشطاط: الطول وحسن القوام واعتداله، والحنا: من الانحناء .

وعوضتني من زماع الفتى وهمتي هم الجبان الهدان[1]

وقاربت مني خطاً لم تكن مقاربةً وثنت من عناني

ولم تدع فيَّ لمستمتعٍ إلا لساني وحسبي لساني !

أَدعو به الله وأُثني به على الأمير المصعبيّ الهجان[2]

وهمت بالأوطان وجداً بها وبالغواني أين مني الغواني[3]

فقرّباني بأبي أنتما من وطني قبل اصفرار البنان[4]

ثم ودع عبد الله وسار راجعاً إلى أهله، فمات قبل أن يصل إليهم.

قال[5] رجل من إخوة المأمون للمأمون يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب وكذا كان أبوه قبله فدفع المأمون ذلك وأنكره ثم عاد بمثل هذا القول.

فدسّ المأمون إلى عبد الله بن طاهر رجلاً ثم قال له: امضِ في هيئة القراء والنساك إلى مصر فادع جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا، وأذكر مناقبه وعلمه وفضائله ثم صر بعد ذلك إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم ائته فادعه ورغبْه في استجابته له وأبحث عن دفين نيته بحثاً شافياً وائتني بما تسمع منه .

ففعل الرجل ما قال له وأمره به، حتى إذا دعا جماعةً من الرؤساء والأعلام قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ودفع رقْعة إلى الحاجب ليوصلها إليه فأذن له فأدخله عليه، وهو قاعد على بساطه ما بينه وبين الأرض غيره وقد مد رجليه وخفاه فيهما فقال له: قد فهمت

---

(١) الزماع: المضاء في الأمر والزميع: الشجاع. الهدان: الأحمق .

(٢) العنان: سير اللجام. الهجان. الحسيب .

(٣) الغواني: جمع غانية وهي المرأة الجميلة الناعمة المستغنية بجمالها .

(٤) كناية عن الموت .

(٥) قصص العرب. لمحمد أبو الفضل إبراهيم وشركاه. ج٣ ص٨٨ .

ما في رقعتك من جملة كلامك فهات ما عندك. قال: ولي أمانك وذمة الله معك ؟ قال: لك ذلك.

فأظهر له ما أراد ودعاه إلى القاسم فأخبره بفضائله وعلمه وزهده فقال له عبد الله: أتنصفني ؟ قال: نعم، قال: هل يجب شكر الله على العباد؟ قال: نعم، قال: فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضل ؟ قال: نعم، قال: فتجيء إليَّ وأنا في هذه الحال التي ترى، لي خاتم في المشرق وفي المغرب وفيما بينهما أمري مطاع وقولي مقبول، ثم ما التفتُّ يميني ولا شمالي وورائي وقدامي إلا رأيت نعمةً لرجل أنعمها عليَّ ومنّةً طوق بها رقبتي ويداً لائحةً بيضاء ابتدأني بها تفضلاً وكرماً، فتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان ! وتقول: أغدر بمن كان أولاً لهذا وآخراً ! واسْعَ في سفك دمه ! تراك لو دعوتني إلى الجنة عياناً من حيث أعلم، أكان الله يحب أن أغدر به وأكفر بإحسانه ومنته وأنكث بيعته !

فسكت الرجل فقال له عبد الله : أما إنه قد بلغني أمرك وتالله ما أخاف عليك إلا نفسك فأرحل عن هذا البلد، فإن السلطان الأعظم إن بلغه أمرك وما أمن ذلك عليك كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك.

فلما يئس الرجل مما عنده جاء إلى المأمون فأخبره الخبر فاستبشر وقال: ذلك غرس يدي وإلفُ أدبي.

وكانت وفاة عبد الله بن طاهر سنة ثمان وعشرين ومائتين للهجرة في مرو.

المبحث الرابع

محمد بن حميد الطوسي

محمد[1] بن حميد الطوسي كان من قواد جيش المأمون العباسي فصار والياً على الموصل وكان شجاعاً ممدوحاً جواداً وقتل سنة اثنتي عشرة ومائتين للهجرة ومن أخباره:

كان محمد بن حميد الطوسي على غدائه يوماً مع جلسائه وإذا بصيحة عظيمة على باب داره فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ما هذه الضجة ؟ من كان على الباب فليدخل ! فخرج الغلام ثم عاد إليه وقال: إن فلاناً أخذ وقد أوثق بالحديد والغلمان ينتظرون أمرك فيه فرفع يده عن الطعام، فقال رجل من جلسائه: الحمد لله الذي أمكنك من عدوِّك، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه وأشار كلٌ من جلسائه عليه بقتله على صفةٍ اختارها وهو ساكت ! ثم قال: يا غلام فك عنه وثاقه، ويدخل إلينا مكرماً.

فأُدخِل عليه رجل لا دمَ فيه ؛ فلما رآه هشَّ إليه، ورفع مجلسه، وأمر بتجديد الطعام. وبسطه بالكلام، ولقمه[2] حتى انتهى الطعام، ثم أمر له بكسوة حسنةٍ وصلة، وأَمر برَّده إلى أهله مكرماً، ولم يعاتبْه على جرم ولا جناية.

ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حضَّ الصاحب على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم ؛ وحسَّن لصاحبه أن يجازي الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه ؛ إنا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر على

---

(١) قصص العرب. لمحمد أبو الفضل إبراهيم وشركاه. ج١ ص ٢٩٦ .

(٢) لقمه: يريد أطعمه .

النعمة فيما أتيح من الظفر ! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يمسك إلا عن قولِ سديد وأمر رشيد فإن ذلك أدوم للنعمة، وأجمع للألْفة أن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ * وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١]

ويذكر أن الشاعر أبا الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن المعروف[1] بالعكوك ؛ أحد فحول الشعراء المبرزين والذي قال الجاحظ في حقه: كان أحسن خلق الله إنشاداً، ما رأيت مثله بدويا ولا حضريا. جاء يوماً يمدح محمد بن حميد الطوسي بعد مدحه لأبي دلف العجلي بهذه القصيدة فقال له محمد بن حميد الطوسي: ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك في أبى دلف:

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره .

قال الشاعر العكوك: أصلح الله الأمير قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا قال: وما هو ؟ فأنشد:

إنما الدنيا حميد وأياديه الجسام

فإذا ولى حميد فعلى الدنيا السلام

قال: فتبسم الطوسي ولم يجد جواباً فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم بالشعر أن هذا أحسن مما قاله في أبي دلف فأعطاه وأحسن جائزته.

---

(١) وفيات الأعيان. لابن خلكان ج٣ ص٣٥٠ .

المبحث الخامس

عمارة بن حمزة

لم أجد له ترجمة سوى هذا الشيء البسيط عن اسمه في قصص العرب ج١ ص١٤٤ و ج٢ ص٤٢٠ للمؤلف محمد أبي الفضل إبراهيم وشركائه وشيء بسيط عن نسبه، كما ذكر في كتاب وفيات الأعيان للمؤلف ابن خلكان ج٤ ص٣١ .

وهو: عمارة بن حمزة ويرجع نسبه إلى أولاد عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكان عمارة مولى وكاتباً لأبي جعفر المنصور والمهدي وكان تياهاً معجباً بنفسه جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس وكان فصيحاً بليغاً وكان من الولاة الأجواد الشعراء جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز والبحرين وله في الكرم أخبار عجيبة وكان أعور دميماً.

وكان أبو جعفر المنصور وولده المهدي يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه وولي لهما الأعمال الكبار وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس وتوفي نحو سنة مائة وثمانين للهجرة.

وحكي[1] أن عمارة بن حمزة دخل على المهدي فلما استقر به الجلوس، قام رجل كان الخليفة المهدي قد أعده ليتهكم به فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة وأكثرها خراجاً. فقال المهدي لعمارة: قم فاجلس مع خصمك ! فقال: يا أمير المؤمنين ؛ ما هو لي بخصم إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين.

---

(١) قصص العرب. لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج٢ ص٤٢٠ .

فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان موضع جلوسه !

قيل[1] للفضل بن يحيى البرمكي ما أحسن كرمك لولا تيْهُ فيك قال: تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة فقيل له: وكيف ذلك ؟ فقال: كان[2] أبي عاملاً على بعض كور[3] بلاد فارس فانكسرتْ عليه جملةٌ مستكثرة، فحمل إلى بغداد، وطولب بالمال ؛ فدفع جميع ما يملكه، وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجهاً، والطلب عليه حثيث، فبقى حائراً في أمره. وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة وموحشة ؛ لكنه علم أنه ما يقدر على مساعدته إلا هو فقال لي يوماً وأنا صبي: امضِ إلى عمارة وسلم عليه عني وعرِّفه الضرورة التي قد صرنا إليها، واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض إلى أن يسهل الله تعالى باليسر فقلت له: أنت تعلم ما بينكما فكيف أمضي إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك ؟ فقال: لا بد أن تمضي إليه لعل الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة !

قال الفضل: فلم تمكني معاودته، وخرجت وأنا أقدم رجلاً وأُؤخر أخرى حتى أتيت داره، واستأذنت في الدخول عليه ؛ فأذن لي، فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه[4] متكئاً على مفارش وثيرة، وقد غلف شعر رأسه ولحيته بالمسك ووجهه إلى الحائط وكان من شدة تيهه لا يقعد إلا كذلك. فوقفت أسفل الإيوان وسلمت عليه فلم

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٤ ص٣٠.

(٢) قصص العرب ـ محمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص ٢٧١ .

(٣) الكورة: المدينة، جمعها .

(٤) إيوانه: الديوان محل استقبال الضيوف .

يرد السلام فسلمت عليه عن أبي، وقصصت عليه القصة فسكت ساعة ثم قال: حتى ننظر! فخرجت من عنده نادماً على نقل خطاي إليه وموقناً بالحرمان عاتبا على أبي أن كلفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه، وعزمت على ألاَّ أعود إليه غيظا منه.

فغبتُ عنه ساعة، ثم جئتهُ وقد سكن ما عندي. فلما وصلت إلى الباب وجدتُ بغالاً محمَّلةً ؛ فقلتُ: ما هذه ؟ فقيل: إن عمارة قد سيَّر المال ؛ فدخلتُ على أبي، ولم أخبره بشيء مما جرى لي معه كي لا أكدر إحسانه عليه.

فمكثنا قليلاً، وعاد أبي إلى الولاية، وحصلتْ له أموالٌ كثيرة ؛ فدفع إليَّ ذلك المبلغَ وقال: احمله إليه. فجئت به ؛ ودخلت عليه فوجدتهُ على الهيئة الأولى ؛ فسلمتُ عليه فلم يرد، فسلمتُ عن أبي وشكرتُ إحسانهَ، وعرفته بوصول المال ؛ فقال لي بحَرَد[1]: ويحك ! أقَسْطارا[2] كنتُ لأبيك ؟ اخرج عني، لا بارك الله فيك ؛ وهو لكَ ! فخرجتُ وردَدْت المال إلى أبي، وعجبنا من حاله ! !

---

(١) الحرد: الغضب.

(٢) القسطار: الصيرفي.

المبحث السادس

البرامكة

نذكر هنا البرامكة حيث أنهم صحيح ليسوا من العرب وهم موالي من الفرس ولكنهم تخلقوا بأخلاق العروبة والإسلام حيث أنهم أسلموا وكانت لهم مشاركة في الحكم وبناء الدولة العباسية وبغض النظر عن النوايا وأنهم تعلموا اللغة العربية ونطقوا بها ونالوا من الثقافة العربية الحظ الأوفر من خلال :

١ ـ معرفتهم لأنساب العرب ونطقهم بالشعر العربي، فحسبك من يقول شعراً بالعربية.

٢ ـ تعلموا العادات العربية وأخذوا أفضلها وتركوا ما دونها وذلك ما عرف عنهم من المروءة والنخوة والشجاعة والجود والكرم الذي هو صفة العروبة وأنهم أخذوا هذه الصفة وأجادوا بها.

٣ ـ قربوا العلماء وسادات الناس لا بل كانوا يساعدون فقهاء الدين.

٤ ـ ساهموا في بناء الدولة العباسية مساهمة فاعلة وقدموا خدماتهم لهذه الدولة في النصح والإرشاد والتوجيه وتصريف الأمور.

٥ ـ للأمانة التاريخية فإنهم أغنوا في فترة حياتهم جوانب مهمة في الدولة العباسية ووجدت أنهم قد شغلوا الدنيا وتاريخها في تلك الحقبة الزمنية من حياتهم وارتباطهم بالدولة العباسية وشغلوا كتب التاريخ والأدب والبلاغة.

١ ـ يحيى بن خالد البرمكي[١]

أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، وكان جدهم برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران، واشتهر برمك وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار عندهم ولا يوجد ما يثبت أنه أسلم.

وساد خالد بن برمك في دولة بني العباس وتولى الوزارة لأبي العباس السفاح بعد مقتل أبي سلمة الخلال وذُكر أنه لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده لا يحيى في رأيه ووفور عقله، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته، ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحة لسانه، ولا محمد بن يحيى في سَروه وهمته ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه.

وكان يحيى بن خالد بن برمك من العقلاء الكرماء البلغاء ومن قوله لولده: الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وبمن بعدنا عبرة.

وقال القاضي يحيى بن أكثم في حقه: لم يكن مثله أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة.

وقال[٢] الأصمعي: دخلت على يحيى يوما، فقال: يا أصمعي هل لك زوجة ؟ فقلت: لا، فقال: فجارية ؟ فقلت: لكم منّة. فأمر بإخراج جارية في غاية الجمال والحسن والظرف، فقال لها: قد وهبتك لهذا. وقال: يا أصمعي خذها. فشكرته ودعوت له، فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت: يا سيدي تدفعني إلى هذا، فما ترى من سماجته وقبحه ؟ فقال لي: هل لك أن أعوضك عنها ألفي دينار ؟ قلت: ما أكره ذلك. ودخلت الجارية إلى داره فقال لي: أنكرت على هذه الجارية أمرا وقد أردت معاقبتها بك ثم رحمتها. فقلت له: هلا أعلمتني حتى كنت لحقت بالباب على صورتي الأصلية

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٢١ بتصرف.

(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٢٣ .

من غير أن أسرح لحيتي وأصلح عمتي وأتطيب وأتجمل. فضحك، وأمر لي بألف دينار أخرى. وحكى إسحاق النديم[1] قال: كانت صلات يحيى بن خالد إذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وأنشده:

يا سمي الحصور يحيى أُتيحت ... لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم ... فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليل ... هي منكم للقابس العجلان

فقال له يحيى: صدقت. وأمر بحمله إلى داره، فلما رجع من دار الخلافة سأله عن حاله، فذكر أنه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث: إما أن يؤدي المهر وهو أربعة آلاف وإما أن يطلق، وإما أن يقيم جاريا للمرأة يكفيها إلى أن يتهيأ له نقلها، فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر وأربعة آلاف لثمن المنزل، وبأربعة آلاف لما يحتاج إليه المنزل وبأربعة آلاف للبنية، وبأربعة آلاف يستظهر بها. فأخذ عشرين ألفاً وانصرف.

وقال[2] محمد بن مناذر الشاعر: حج هارون الرشيد ومعه ابناه الأمين محمد والمأمون عبد الله، وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر، فلما صاروا بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد، فأعطى الناس عطاءهم، ثم جلس الأمين ومعه الفضل فأعطاهم العطاء، ثم جلس المأمون ومعه جعفر فأعطاهم عطاياهم، وكان أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الأعطية الثلاثة، ولم يروا مثل ذلك قط. فقلت في ذلك:

أتانا بنو الأملاك من آل برمك ... فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام إلى العدى ... وأخرى إلى البيت العتيق المطهر
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى ... بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر
فما خلقت إلا لجود أكفهم ... وأقدامهم إلا لأعواد منبر

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٢٣ .
(٢) وفيات الأعيان. لابن خلكان ج٦ ص٢٢٤ .

إذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه فناهيك من راع له ومدبر

ترى الناس إجلالاً له وكأنهم غرانيق ماء تحت باز مصرصر

قيل[1] عن أبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي أنه قال: كنت حناطاً بالمدينة في يدي مائة ألف درهم للناس أُضارب بها، فتلفت الدراهم فشخصت إلى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وأنست بالخدم والحجاب وسألتهم أن يوصلوني إليه. فقالوا: إذا قدم الطعام لم يحجب عنه أحد. ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت. فلما حضر طعامه أدخلوني فأجلسوني معه على المائدة، فسألني: من أنت، وما قصتك ؟ فأخبرته فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لأقبل رأسه، فاشمأز من ذلك فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار، فقال: الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك: استعن بهذا على أمرك وعد إلينا في اليوم الثاني، فأخذته وانصرفت، وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة، فأنشأ يسألني كما سألني في اليوم الأول، فلما رفع الطعام دنوت منه لأقبل رأسه فاشمأز مني، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار، فقال لي: الوزير يقرأ عليك السلام، ويقول لك: استعن بهذا على أمرك وعد إلينا في غد، فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثالث كما أمر، فأعطيت مثل الذي أعطيت في اليوم الأول والثاني، فلما كان في اليوم الرابع أعطيت الكيس كما أعطيت قبل ذلك وتركني بعدها أقبل رأسه وقال :إنما منعتك ذلك لأنه لم يكن وصلك من معروفي ما يوجب هذا فالآن قد لحقك بعض النفع مني يا غلام أعطه الدار الفلانية، يا غلام أفرش له الفرش الفلاني، يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضي دينه بمائة ألف ويصلح شأنه بمائة ألف ثم قال لي: الزمني وكن في داري. فقلت أعز الله الوزير لو أذنت لي بالشخوص إلى المدينة لأقضي الناس أموالهم ثم أعود لحضرتك كان ذلك أرفق بي. قال: قد فعلت، وأمر بتجهيزي، فشخصت إلى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت إليه فلم أزل في ناحيته.

---

(١) المصدر نفسه.

ودخل عليه يوما أبو قابوس الحميري فأنشده[1]:

رأيت يحيى أتم الله نعمته ... عليه يأتي الذي لم يأته أحد

ينسى الذي كان من معروفه أبدا ... إلى الرجال ولا ينسى الذي يَعِدُ

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال.

وكان يحيى يقول: إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى.

وقال: ذكر النعمة من المنعم تكدير، ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير.

وقال: النية الحسنه مع العذر الصادق يقومان مقام النجح.

وقال: إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة.

وقال الحسن بن سهل: من غيرته الولاية لإخوانه علمنا أن الولاية أكبر منه، أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك.

ولما عزم جعفر بن يحيى على بناء قصره شاور أباه يحيى بن خالد فيه فقال له[2]: هو قميصك إن شئت فوسعه وإن شئت فضيقه، وأتاه وهو يبني داره فإذا الصناع يبيضون حيطانها فقال: إنك تعطي الذهب بالفضة، فقال جعفر: ليس كل أوان يكون ظهور الذهب أصلح، ولكن هل ترى عيبا ؟ قال: نعم، مخالطتها لدور السفل والسوقة.

وكان ليحيى كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته فعزم على ختان ولده فاحتفل له الناس على طبقاتهم وهاداه أعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم. وكان له صديق قد اختلفت أحواله وضاقت يده عما يريده لذلك فما دخل فيه غيره. فعمد إلى كيسين كبيرين نظيفين فجعل في أحدهما ملحا وفي الآخر أشنا مكفراً، وكتب معهما رقعة نسختها: لو تمت الإرادة لأُسعفت بالعادة، ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمّة لأتبعت السابقين إلى برك وتقدمت المجتهدين في كرامتك، ولكن قعدت

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٢٥ .

(٢) المصدر نفسه .

القدرة على البغية وقصرت الجدة عن مباراة أهل الهمة. وخفت أن تطوى صحائف البر وليس لي فيها ذكر ن فأنفذت المبتدأ بيمينه وبركته والمختم بطيبه ونضافته صابرا على ألم التقصير، ومتجرعا غصص الاقتصار على اليسير فأما مالم أجد إليه السبيل في قضاء حقك فالقائم فيه بعذري قول الله عز وجل ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١] والسلام.

فلما حضر يحيى بن خالد الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها، حتى الكيسين والرقعة فاستظرفها. وأمر أن يملاء الكيسان مالا ويردا عليه فكان مقدار ذلك أربعة آلاف دينار.

وقال رجل ليحيى: والله لأنتَ أحلم من الأحنف بن قيس. فقال له: لا تقرب أليَّ من أعطاني فوق حقي.

ونادى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أحد غلمانه فلم يجبه. فقال: سمعت يحيى بن خالد يقول: يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه.

وكان[1] يحيى يساير الخليفة هارون الرشيد يوماً فوقف له رجل فقال: يا أمير المؤمنين عطبت دابتي، فقال الرشيد: يعطى خمسمائة درهم، فغمزه يحيى، فلما نزلوا قال له الرشيد: يا أبت أومأت إليَّ بشيء لم أعرفه ؟ فقال: مثلك لا يجري هذا القدر على لسانه، إنما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف، عشرة آلاف ألف. فقال: إذا سئلت مثل هذا كيف أقول ؟ فقال: تقول: يشترى له دابة.

قتل هارون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي وحبس يحيى وابنه الفضل وكان حبسهما في الرافقة، وهي الرقة القديمة تجاور الرقة الجديدة وهي البلد المشهور الآن على شاطئ الفرات.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٢٧ .

وحكي أن يحيى بن خالد اشتهى في وقت من الأوقات وهو في الحبس سكباجة. فلم يطلق له اتخاذها إلا بمشقة، فلما فرغ منها سقطت القدر من يد الطباخ فانكسرت فقال أبياتا يخاطب بها الدنيا ومضمونها اليأس وقطع الأطماع ومطلعها:

قطعت منك حبائل الآمال وأرحت من حل ومن ترحال

ولم يزل يحيى بن خالد في حبس الرافقة إلى أن مات في الثالث من محرم سنة تسعين ومائة للهجرة فجأة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وقيل أربع وسبعين سنة وصلى عليه ابنه الفضل ودفن في شاطئ الفرات في ربض، هرثمة ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه:

قد تقدم الخصم، والمدعى عليه في الأثر، والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج إلى بينة. فحملت الرقعة إلى الرشيد فلم يزل يبكي يومه كله.

وكان[1] يحيى يجري على سفيان الثوري في كل شهر ألف درهم. وكان سفيان يقول في سجوده: اللهم إن يحيى كفاني أمر دنياي، فاكفه أمر آخرته. فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في النوم فقال له: ما صنع الله بك ؟ قال: غفر لي بدعاء سفيان الثوري.

وذكر أنه وجد تحت فراش يحيى بن خالد بعد موته رقعة مكتوب فيها:

وحق الله إن الظلم لوم وإن الظلمَ مرتعهُ وخيمُ

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٢٩ .

٢ ـ الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي[١]

هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، كان أكثرهم كرما مع كرم البرامكة وسعة جودهم وكان أكرم من أخيه جعفر، وكان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه؛ وكان هارون الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر، وأراد أن ينقلها إلى جعفر فقال لأبيهما يحيى: يا أبت وكان الرشيد يدعو يحيى بالقول يا أبت: إني أريد أن أجعل الخاتم الذي لأخي الفضل لجعفر، وكان الرشيد يدعو الفضل يا أخي فإنهما متقاربان في المولد، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد واسمها زبيدة من مولدات المدينة، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل بن يحيى، فكانا أخوين في الرضاع، وفي ذلك قال مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل:

كفى لك فضلاً أن أفضل حرة ... غذتك بثدي والخليفةَ واحد

لقد زِنْتَ يحيى في المشاهد كلها ... كما زان يحيى خالدا في المشاهدِ

قال الرشيد ليحيى: وقد احتشمت من الكتاب إليه في ذلك فاكفينه، فكتب والده إليه (قد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شمالك) فكتب إليه الفضل (قد سمعت مقالة أمير المؤمنين في أخي وأطعت، وما انتقلت عني نعمة صارت إليه، ولا غربت عني رتبة طلعت عليه) فقال جعفر: لله أخي ما أنفس نفسه، وأبين دلائل الفضل عليه، وأقوى منة العقل فيه، وأوسع في البلاغة ذرعَه.

ثم إن الرشيد ولى جعفر بن يحيى الغرب كله من الأنبار إلى إفريقية وولى الفضل بن يحيى الشرق كله من شروان إلى أقصى بلاد الترك في سنة ثمان وسبعين ومائة للهجرة وكان مقر عمله خراسان فلما باشر عمله أزال سيرة الجور، وبنى المساجد وأكرم القواد

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٤ ص٢٧.

والعلماء والكتاب وأحرق دفاتر البقايا ونعني بها دفاتر المطلوبين للضرائب وزاد في الرواتب والأعطيات للجند ورجال الدولة.

وما يحكى أن أبا الفضل الحميري قد هجا الفضل ثم أتاه راغبا إليه، فقال له: ويلك! بأي وجه تلقاني؟ فقال: بالوجه الذي ألقى به الله عز وجل وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك. فضحك ووصله.

وقال[1] عبد الله بن منصور: كنت يوماً في مجلس الفضل بن يحيى فأتاه الحاجب فقال: إن في الباب رجلاً قد أكثر في طلب الإذن، وزعم أن له يداً يمت فيها. فقال: أدخله، فدخل رجل جميل الوجه رث الهيئة فسلم فأحسن.

فأومأ إليه بالجلوس فجلس، فلما علم أنه قد انطلق وأمكنه الكلام قال له: ما حاجتك ؟ قال له: قد أعربت بها رثاثة هيئتي وضعف طاقتي ! قال: أجل، فما الذي تمت به إلينا ؟ قال: ولادة تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك، واسم مشتق من اسمك. قال: أما الجوار يمكن أن يكون كما قلت، وقد يوافق الاسمُ الاسم، ولكن ما عِلْمُكَ بالولادة ؟ قال: أعلمتني أمي أنها لما وضعتني، وقيل: إنه ولد ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل، فسمَّتني فُضْيلاً إعظاما لاسمك أن تلحقني بك. فتبسم الفضل وقال: كم أتى عليك من السنين ؟ قال: خمس وثلاثون سنة، قال: صدقت هذا هو المقدار الذي أتيت عليه، فما فعلت أمكَ ؟ قال: توفيت رحمها الله، قال: فما منعك من اللحوق بنا فيمامضى ؟ قال: لم أرض نفسي للقائك لأنها كانت في عاميَّة وحداثة تقعدني عن لقاء الملوك وعلق هذا بقلبي منذ أعوام، فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي، قال: فما تصلح له ؟ قال: الكبير من الأمر والصغير. فقال الفضل: يا غلام أعطه لكل عام مضى من سِنّه ألف درهم وأعطه عشرة آلاف درهم يحمل بها نفسه إلى وقت استعماله وأعطه مركوباً سرياً.

---

(١) العقد الفريد ـ لأبن عبد ربه ج١ ص٢٧٠ .

ثم[1] إن الرشيد لما قتل جعفراً قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل المذكور، وكان عنده ثم توجه الرشيد إلى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى، فلما وصلوا إليها وجه الرشيد إلى يحيى: أن أقم بالرقة أو حيث شئت ؟، فوجه إليه: إني أحب أن أكون مع ولدي ،فوجه إليه: أترضى بالحبس ؟ فذكر أنه يرضى به، فحبس معهم ووسع عليهم، ثم كانوا حيناً يوسع عليهم وحيناً يضيق عليهم حسبما ينقل إليه عنهم، واستصفى أموال البرامكة ويقال: إن الرشيد سير مسرورا الخادم إلى السجن فجاءه فقال للمتوكل بهما: أخرج اليَّ الفضل بن يحيى، فأخرجه فقال له: إن أمير المؤمنين يقول لك :إني قد أمرتك أن تصدقني عن أموالكم، فزعمت أنك قد فعلت، وقد صح عندي أنك بقَيت لك أموالاً كثيرة، وقد أمرني إن لم تطلعني على المال أن أضربك مائتي سوط، وأرى لك أن لا تؤثر مالك على نفسك، فرفع الفضل رأسه وقال: والله ما كذبت فيما أخبرت به، ولو خيرت بين الخروج، من ملك الدنيا وأن أضرب سوطاً واحداً لاخترت الخروج وأمير المؤمنين يعلم ذلك وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا، فكيف صرنا نصون أموالنا بأنفسنا ؟ فإن كنت قد أمرت بشيء فامض له، فأخرج مسرور أسواطاً كانت معه في منديل، وضربه مائتي سوط، وتولى ضربه الخدم فضربوه أشد الضرب وهم لا يحسنون الضرب فكادوا أن يتلفوه، وتركوه.

وكان هناك رجل بصير بالعلاج فطلبوه لمعالجته، فلما رآه قال: يكون قد ضربوه خمسين سوطاً، فقيل: بل مائتي سوط، فقال: ما هذا إلا أثر خمسين سوطاً لا غير، ولكن يحتاج أن ينام على ظهره على بارية وأدوس صدره، فجزع الفضل من ذلك ثم أجاب إليه، فألقاه على ظهره وداسه، ثم أخذ بيده وجذبه عن البارية، فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير، ثم أقبل يعالجه إلى أن نظر يوماً إلى ظهره فخر المعالج ساجداً لله

(١) وفيات الأعيان. لابن خلكان ج٤ ص٣٣

تعالى فقيل له: ما بالك ؟ فقال: قد برئ وقد نبت في ظهره لحم حي. ثم قال: ألست قلت هذا ضرب خمسين سوطاً، أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثرها بأشد من هذا الأثر. وإنما قلت ذلك حتى تقوى نفسه فيعينني على علاجه.

ثم إن الفضل اقترض من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم وسيرها له، فردها عليه، فاعتقد أنه قد استقلها، فاقترض عليها عشرة آلاف أخرى وسيرها فأبى أن يقبلها وقال: ما كنت لآخذ على معالجة فتى من الكرام كراءً، والله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها، فلما بلغ ذلك الفضل قال: والله إن الذي فعله هذا أبلغ من الذي فعلناه في جميع أيامنا من المكارم، وكان قد بلغه أن ذلك المعالج كان في شدة وضائقة.

وكان الفضل ينشد وهو في السجن هذه الأبيات وهي لأبي العتاهية[1]:

إلى الله فيما نالنا نرفعُ الشكوى ... ففي يده كشفُ المضرة والبَلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحيا
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا

وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم، فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصة:

عنَد الملوكِ منافعٌ ومضرة ... وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
إن كان شرٌّ كان غيرهم له ... والخير منسوبٌ إليهم أجمع
وإذا جهلت من امرئ أعراقه ... وقديمهُ فانظر إلى ما يصنع
إن العروق إذا استسر بها الندى ... أشب النباتُ بها وطاب المزرع

وغضب الرشيد على العتابي الشاعر فشفع له الفضل فرضي عنه، فقال:

ما زلتُ في غمراتِ الموتِ مطَّرَحاً ... يضيقُ عني وسيعُ الرأي والحيلِ
فلم تزل دائماً تَسعى بلطفك لي ... حتى اختلست حياتي من يدَي أجلي

(١) وفيات الأعيان. لابن خلكان ج٤ ص٣٤.

وقال فيه بعض الشعراء بيتاً واحداً وهو:

ما لقينا من جود فضل بن يحيى تـرك الـنـاس كـلـهـم شـعـراءَ.

فاستحسنوا منه ذلك وعابوا عليه كونه مفرداً، فقال أبو العذافر ورد ابن سعد العمي:

علَّم المفحمين أن ينظموا الأشـ ـعار منا والباخلين السخاءَ

فاستحسنوا منه ذلك.

وكان الفضل كثير البر بأبيه وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد في موسم الشتاء، فيحكى أنهما لما كانا في السجن لم يقدرا على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه إلى بطنه مدةً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك.

وكانت ولادته سنة سبع وأربعين ومائة للهجرة وتوفيَ بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة للهجرة في المحرم غداة جمعة في الرقة. ولما بلغ الرشيد موته قال: أمري قريب من أمره. وكذا كان، فإن الرشيد توفيَ بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة للهجرة ليلة السبت لثلاث من جمادى الآخرة.

٣ ـ جعفر البرمكي

أبو الفضل[١] جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد. كان من علو القدر ونفاذ الأمر وبعد الهمة وعظم المحل وجلالة المنزلة عند هارون بحالة انفرد بها، وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر، وأما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فكان أبذل من أن يذكر وكان من ذوي الفصاحة المشهورين باللسن والبلاغة.

ومن أخباره:

اعتذر إليه رجل فقال له جعفر: قد أغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار إلينا وأغنانا بالمودة لك عن سوء الظن بك. ووقع إلى بعض عماله وقد شُكي منه: قد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت.

ومما ينسب إليه من الفطنة:

أنه بلغه أن الرشيد مغموم لأن منجماً يهودياً زعم أنه يموت في تلك السنة يعني الرشيد، وأن اليهودي في يده، فركب جعفر إلى الرشيد فرآه شديد الغم، فقال لليهودي: أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً ؟ قال: نعم، قال: وأنت كم عمرك؟ قال: كذا وكذا أمداً طويلاً، فقال للرشيد: اقتله حتى تعلم أنه كذب في أمدك كما كذب في أمده، فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم وشكره على ذلك، وأمر بصلب اليهودي. فقال أشجع السلمي في ذلك:

سل الراكب الموفي على الجذع هل رأى لراكبه نجما بدا غير أعور

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج١ ص٣٢٨.

ولو كان نجم مخبرا على منية لأخبره عن رأسه المتحير

يُعرّفُنا موت الإمام كأنه يُعَرّفُنا أنباء كسرى وقيصر

أتخبر عن نحس لغيرك شؤمه ونجمك بادي الشر يا شر مخبر

ومضى دم المنجم هدراً بحمقه.

وكان جعفر من الكرم وسعة العطايا كما هو مشهور، ويقال: إنه لما حج اجتاز في طريقه بالعقيق وكانت سنة مجدبة، فاعترضته امرأة من بني كلاب وأنشدته:

إني مررتُ على العقيق وأهله يشكون من مطر الربيع نزورا

ما ضرهم إذ جعفر جارٌ لهم أن لا يكون ربيعهم ممطورا

فأجزل لها العطاء.

وحكي أنه كان عنده أبو عبيد الثقفي فقصدته خنفساء، فأمر جعفر بإزالتها فقال أبو عبيد: دعوها عسى يأتيني بقصدها لي خير، فإنهم يزعمون ذلك، فأمر له جعفر بألف دينار وقال: نحقق زعمهم، وأمر بتنحيتها، ثم قصدته ثانيا فأمر له بألف دينار أُخرى.

وحكى ابن القادسي في أخبار الوزراء[1]:

أن جعفراً اشترى جارية بأربعين ألف دينار، فقالت لبائعها: اذكر ما عاهدتني عليه أنك لا تأكل لي ثمنا، فبكى مولاها وقال: اشهدوا أنها حرة وقد تزوجتها، فوهب له جعفر المال ولم يأخذ منه شيئا، وأخبار كرمه كثيرة، وكان أبلغ أهل بيته.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج١ ص٣٣٢.

المبحث السابع

ما قيل في الجود

١ ـ قيل لأبي عقيل البليغ العراقي: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة.

٢ ـ وقال زياد بن أبيه: كفى بالبخل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجود مجداً أن اسمه لم يقع في ذم قط.

٣ ـ وقال عبد العزيز بن مروان: إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده. فيده عندي أعظم من يدي عنده.

٤ ـ وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء.

٥ ـ وقال خالد بن عبد الله القسري: من أصابه غبار مركبي فقد وجب عليَّ شكره.

٦ ـ وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر: من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين أما المصلح فلا يقل عليه شيء. وأما المفسد فلا يبقى له شيء.

٧ ـ ومن خطبة لخالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن الله لا يعدم فاعله جوازيه. وما ضعفت الناس عن أدائه قَوِيَ اللهُ على جزائه.

٨ ـ وقيل لمعاوية: أي الناس أحب إليك ؟ قال: من كانت له عندي يد صالحة، قيل: فإن لم تكن له ؟ قال فمن كانت لي عنده يد صالحة.

٩ ـ وقال الأحنف بن قيس: ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب.

١٠ ـ قال إسماعيل بن مسرور عن جعفر بن محمد قال: إن الله تعالى خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.

١١ ـ قال أسماء بن خارجة: ما أحب أن أرد أحدا في حاجة طلبها لأنه لا يخلو أن يكون كريما فأصون له عرضه أو لئيما فأصون عرضي منه.

١٢ ـ قال خالد ين صفوان: لا تطلبوا الحوائج في غير حينها. ولا تطلبوها من غير أهلها فإن الحوائج تطلب بالرجاء وتدرك بالقضاء.

وقال أيضا: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها. وأشد من المصيبة سوء الخلف منها.

١٣ ـ وقالوا: إذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.

١٤ ـ وجاء في الحديث: من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره.

١٥ ـ وقالوا: من حمدك فقد وفاك حق نعمتك.

١٦ ـ وقال السموءل في قلة الكرام:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل.

١٧ ـ قال الأصمعي: قال كسرى: أي شيء أضر ؟ فأجمعوا على الفقر. فقال كسرى: الشح أضر منه لأن الفقير يجد الفرجة فيتسع.

١٨ ـ وقال حبيب الطائي في قلة الكرام:

ولقد تكون ولا كريم ننالـه حتى نغوص إليه ألف لئيم

١٩. وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: يا بني إذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا.

٢٠ ـ وقالوا: وعد الكريم نقداً ووعد اللئيم تسويفاً.

٢١ ـ وقال الموبذان: الوعد السحابة والإنجاز المطر.

٢٢ ـ وفي بعض الحديث: اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه.

٢٣ ـ وقول ابن عبد ربه:

كريم على العلات جزل عطاؤه ... ينيل وإن لم يعتمد النوال

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ... ولكن من يعطي بغير سؤال

٢٤ ـ وسأل معاوية صعصعة بن صوحان: ما الجود؟ فقال: التبرع بالمال والعطية قبل السؤال.

٢٥ ـ وقالوا: السخي من كان مسرورا ببذله متبرعا بعطائه لا يلتمس عرض الدنيا فيحبط عمله ولا طلب مكافأة فيسقط شكره. ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن يريد نفع نفسه.

٢٦ ـ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إليَّ حاجة فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.

٢٧ ـ ومن أحسن ما قيل في الجود مع الإقلال قول صريع:

فلو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله.

٢٨ ـ وقالت الحكماء: القليل من القليل أحمد من الكثير إلى الكثير.

٢٩ ـ وقيل لبعض الحكماء: من أجود الناس؟ قال: من جاد من قلة وصان وجه السائل عن المذلة.

٣٠ ـ وقال بزر جمهر الفارسي: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى.

٣١ ـ وقالوا: أحي معروفك بإماتة ذكره وعظمه بالتصغير له.

٣٢ ـ قال الحسن والحسين عليهما السلام لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: بأبي وأمي أنتما إن الله قد عودني أن يتفضل عليَّ وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني.

٣٣ ـ وقال النبي ﷺ: أنفق بِلالاً ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا .

٣٤ ـ وقال أبو اليقظان: أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية أخا أبي بلال وقطع يده ورجله وصلبه على باب داره فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم.

٣٥ ـ وقال شاعر:

ملأتُ يدي من الدنيا مراراً ... وما طمع العواذل في اقتصادي

ولا وجبت عليَّ زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على الجواد.

٣٦ ـ وقالوا: من بذل إليك وجهه فقد وَفَّاكَ عن نعمتك.

٣٧ ـ وكان يحيى بن خالد البرمكي لا يقضي حاجة إلا بوعد. ويقول: من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما.

٣٨ ـ وكتب الجاحظ إلى رجل وعده: أما بعد فإن شجرة وعدك قد أورقت فليكن ثمرها سالما من جوانح المَطْل. والسلام.

٣٩ ـ وقال مروان بن أبي حفصة: لقيت يزيد بن مزيد الشيباني وهو خارج من عند المهدي فأخذت بعنان دابته وقلت له: إني قلت فيك ثلاثة أبيات أريد بكل بيت منها مائة ألف، قال: هات لله أبوك، فأنشأت أقول:

يا أكرم الناس من عجم ومن عرب ... بعد الخليفة يا ضرغامة العرب

أفنيت مالك تعطيه وتنهبه ... يا آفة الفضة البيضاء والذهب

إن السنان وحد السيف لو نطقا لأخبرا عنك في الهيجاء بالعجب.

٤٠ ـ قال عبد الملك بن مروان: اعمل المعروف عند ذوي الأحساب فإنهم أصون له وأشكر لما يؤتى إليهم.

٤١ ـ قال يزيد بن المهلب: إن التعذر أخو البخل.

٤٢ ـ قال المأمون: لا يَعْرِف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

٤٣ ـ قال قس بن ساعدة: أفضل المال ما أعطيَ منه الحق.

٤٤ ـ قال الصاحب بن عباد: الكرم عامر والبخل ذامر.

٤٥ ـ قال احمد بن أبي داود قاضي القضاة في زمن المأمون: إن الإنسان يسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يسأل عن فضل ماله.

المبحث الثامن

تدريب النفس على السخاء

إن الإنسان ينال أعلى مراتب الرضا من الله سبحانه وتعالى من خلال حسن الخلق.

وتطرقنا إلى قول الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه وهي (١) ـ الحلم (٢) ـ التواضع (٣) ـ السخاء (٤) ـ حسن الخلق وهو كمال الإيمان. وأول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله تعالى الإيمان فقواه بحسن الخلق والسخاء. ولا يصلح لهذا الدين إلا السخاء وحسن الخلق. وعن هذا فإن أساس حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال في التصرف والسلوك أو حسن الخلق بمجمله حاصل من خلال وجهين:

١ ـ بإلهام إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حَسْن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب لا بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب وهذا يشمل سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وبعض الناس الذين تتوافر فيهم نسبة حسن الخلق وكمال الأدب والعقل بصورة عالية.

٢ ـ اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة ورياضة النفس ونعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلقُ المطلوب.

وعليه فإن الجود والكرم والسخاء أيضا يأتي من وجهين وهما:

١ ـ الوجه الفطري: حيث يولد الإنسان ونفسه مليئة من الله سبحانه وتعالى بالسخاء والجود.

٢ ـ وهو أن يحصل لنفسه خلق الجود والسخاء من خلال الاكتساب وهذا الوجه لتدريب النفس على اكتساب السخاء والجود هو الذي يهمنا حيث أن الوجه الأول (الفطري) في طريقه نحو السمو والمجد وأفعال الخير بدون تربية له.

فكيف يكون الإنسان سخياً وذلك من خلال مجاهدة النفس في تعاطي فعل الأجواد وبذل المال رغم قهر النفس وتكلفها فلا يزال يطالب نفسه ويواظب على ذلك تكلفاً ومجاهدةً لنفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير سخياً أو جواداً.

وكذلك من أراد أن يحصل لنفسه على خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة غير قليلة وهو يجاهد فيها نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك طبعاً وخلقاً له فيتيسر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تصير بهذا الطريق والغاية أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا، فالسخي هو الذي يستلذ ببذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله كراهة. والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع. ولن ترسخ الأخلاق الدينية مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة. وتترك جميع الأفعال السيئة. ويجب أن يواظب الإنسان عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال الرسولﷺ :«وجعلت قرة عيني في الصلاة »[1]. ومهما كانت العبادات مع ترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقال رسول الله)ص(:« اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كبير »[2].

ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وطول العمر، وكلما كان العمر طويلا كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك سئل)ص(عن السعادة فقال «طول العمر في طاعة الله »[3] ولذلك كره الأنبياء[4] الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة.

---

(١) أخرجه النسائي٧/ ٦١ من حديث أنس.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب(١٠٠٠٠) بنحوه .

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب(٣١٢) .

(٤) أحياء علوم الدين ـ لأبي حامد الغزالي ص٦٨٥ .

وعليه فإن الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصير طبعاً في النهاية. وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح. أعني النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة.

وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب. ويعرف ذلك بمثال وهو من أراد أن يصير حذقا في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر في الآخر منه الأمر الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا. فكان الخط الحسن هو الذي جعل الخط حسنا ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم اندفع من القلب إلى الجارحة وهي اليد فصار يكتب الخط الحسن بالطبع.

وعليه فمن أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير له ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك. فإذا عرفنا أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح. إذ الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعاً فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا طبع واعتياد وتعلم فهو في غاية الفضيلة. ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم. وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته وقوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ومن الله التوفيق والتأييد لأعمال الخير عفة وسخاء وحلماً.

المصادر

١) الإحسان: صحيح ابن حبان.

٢) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي. المكتبة القيمة ـ القاهرة.

٣) البحر الزخار: أحمد بن عمرو البزاز ت: محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ١٩٨٨ .

٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم حسن الطبعة السادسة ١٩٦٤ . مكتبة النهضة المصرية.

٥) تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي. ط. القاهرة، ١٩٣١ م.

٦) تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي. الطبعة الثالثة. مطبعة منير بغداد .

٧) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية: رشيد الجميلي.

٨) تاريخ العرب والإسلام: عبد اللطيف الطيباوي. الطبعة الثالثة دار الأندلس ببيروت

٩) تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر. ط. دار البشير

١٠) تفسير ابن أبي حاتم: (تفسير القرآن العظيم) عبد الرحمن بن محمد الرازي. ت: حكمت ياسين ط. دار طيبة الرياض ١٤٠٨ هـ.

١١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم). الحافظ إسماعيل بن كثير.

طبعة جديدة مصححة، شركة مكتبة البخاري، الكويت.

١٢) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل أبي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير.

ت: د. عبد الله بن عبد المحسن الزكي. ط. مركز البحوث والدراسات بدار حجر، القاهرة. ٢٠٠١م.

١٣) الثقات: محمد بن حبان البستي. ت: محمد عبد المعين خان، ط: مجلس دائرة المعارف حيدر آباد الهند ١٩٧٣.

١٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ط: مطبعة السعادة ١٩٧٤.

١٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ط: دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

١٦) الرحيق المحتوم: صفي الرحمن المباركفوري. بيروت.

١٧) الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القارة. طبعه ١٩٨٩م.

١٨) الرسول: سعيد حوى ـ الجزء الأول ـ القاهرة.

١٩) روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح. الطبعة العاشرة.

٢٠) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. ط: مكتبة الغزالي، بيروت دمشق.

٢١) رياض الصالحين: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي.

٢٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ دار إحياء العلوم. بيروت.

٢٣) سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزيني. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء الكتب العربي. القاهرة.

٢٤) سنن أبي داود: سليمان ابن الأشعث. ت: عزت عبيد الدعاس. نشر: محمد علي السيد. حمص ١٣٨٦هـ.

٢٥) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة. ت: أحمد شاكر. ط: المكتبة الإسلامية.

٢٦) السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين ـ مجلس دائرة المعارف. حيدر آباد ـ الهند ـ ١٣٥٢ هـ.

٢٧) السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب. ت: حسن عبد المنعم شلبي. ط: مؤسسة الرسالة. ٢٠٠١م.

٢٨) سنن النسائي: أحمد بن شعيب ـ طبعة بيروت المصدرة عن الطبعة المصرية للقاهرة.

٢٩) شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي. ت: محمد السعيد زغلول. ط: دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ.

٣٠) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: . ت: شعيب أرناؤوط ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٣م.

٣١) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري. ت: أبو صهيب الكرمي. ط: بيت الأفكار الدولية ـ الرياض ١٩٩٨ م.

٣٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء الكتب العربية ـ بيروت ١٣٧٤هـ.

٣٣) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي. المجلد الأول . دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٤) فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ط: المكتبة السلفية. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. محب الدين الخطيب.

٣٥) فجر الإسلام: أحمد أمين.

٣٦) الفردوس بمأثور الخطاب: مسند الفردوس.

٣٧) قصص العرب: محمد أبو الفضل وشركاءه ـ دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٩٦٢.

٣٨) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ـ دار الكتاب العربي بيروت.

٣٩) الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي. ط: دار الفكر، ١٤٠٤ هـ.

٤٠) لسان العرب (معجم لغوي): ابن منظور ـ بيروت.

٤١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. الطبعة الرابعة: المكتبة التجارية الكبرى.

٤٢) المجتمع العربي قبل الإسلام: رؤوف شلبي ـ جامعة الأزهر طنطا.

٤٣) المستدرك على الصحيحين: للحاكم أبي عبد الله النيسابوري. إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. دار المعرفة بيروت.

٤٤) مسند أبي يعلى: أحمد بن علي التميمي. ت: حسين سلمي أسد. ط: دار الثقافة العربية. دمشق ـ بيروت ـ ١٩٩٢م.

٤٥) مسند أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. إشراف: شعيب أرناؤوط. ط: مؤسسة الرسالة ـ دمشق ـ ٢٠٠١م.

٤٦) مسند البزار: البحر الزخار.

٤٧) مسند الشهاب: محمد بن سلامة القضاعي. ت: حمدي السلفي ط: مؤسسة الرسالة. ١٩٨٦م.

٤٨) مسند الفردوس: شيروية بن شهر دار أبو شجاع الديلمي. ت: السعيد زغلول. ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٦م.

٤٩) مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد. ت: عبد الخالق الأفغاني. ط: الدار السلفية: الهند ١٩٨٠.

٥٠) مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني . ت جبيب الرحمن الأعظمي. ط: المجلس العلمي، المكتب الإسلامي ببيروت. ١٩٧١م.

٥١) المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني. ت محمود الطحان. ط: مكتبة المعارف. الرياض. ١٩٨٥.

٥٢) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. ت: حمدي السلفي. نشر: وزارة الأوقاف العراقية. ١٩٨٣م.

٥٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ١٩٧٦.

٥٤) مكارم الأخلاق: لأبي بكر بن دلال.

٥٥) الموطأ: الإمام مالك بن أنس. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء التراث. بيروت ١٩٨٥م.

٥٦) الموضوعات الكبرى: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. ت: توفيق حمدان. دار الكتب العلمية. ١٩٩٥م.

٥٧) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: العباس بن علي الموسوي المكي. ط: منشورات المطبعة الحيدرية. النجف. العراق.

٥٨) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: : شمس الدين ابن خلسكان. دار الفكر بيروت.